اقامته مؤسسة (المدى)

المثقفون العراقيون يؤبنون الراحل فؤاد التكرلي

اختتم أبناء الجالية العراقية في الأردن مساء الخميس ثلاث ليال من تبادل التعازي بالمرحوم فؤاد التكرلي في مجلس العزاء الذي أقامته في العاصمة الأردنية مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون بأمسية شبه نقدية تحدث فيها عدد من أصدقاء الراحل الكبير والمثقفين المتابعين لمسيرته الأدبية.

عمان/المدى

نجيب محيي الدين:

(سيفخر العراق دائماً بواحد من أعز أبنائه وأنبلهم... هو فؤاد التكرلي)

وفي بداية الجلسة التي حضرها العشرات من المثقفين العراقيين المقيمين في عمان، تحدث الأستاذ نجيب محيي الدين مستذكرا بدايات علاقته بالتكرلي قبل أكثر من خمسين عاما، حين بدأ المرحوم عمله القانوني في بعقوبه وقال: لست من رجال القضاء لأتكلم عن سيرته وما تميز به، ولكن كل ما سمعته منه وعنه يؤكد لي أنه كان متميزا، وهو لم يكن يرضى بتطبيق القانون بطريقة جامدة، وهو المعروف بالرحمة والعدالة، والساعي لإراحة ضميره. لقد أضفى كأديب الأسلوب الأدبي الرفيع الشفاف على قراراته القضائية، و تميزت حياته بأنها كانت محكومة بعنصرين، هما روح القضاء العادل والأدب الرفيع، ولم يبتعد مرة واحدة عن الدقة التي يقتضيها القانون، ونظرا لتمسكه بروح القانون والعدالة فإنه كان يبذل جهدا كبيرا مكنه من الارتقاء بعناصر متنوعة أفادته كثيرا وعبر عنها خير تعبير في أعماله الأدبية التي سجلت جوانب من حياة المجتمع العراقي في مراحل مختلفه، لقد ظل فؤاد متمسكا بمثل وقيم عليا أكسبته الكثير من الأصدقاء والمحبين، وكان علامة فارقة في سماء القانون والأدب، وسيشكل غيابه عنا خسارة كبيرة، لكن عزاءنا أن العراق سيفخر دائماً بواحد من أعز أبنائه وأنبلهم هو فؤاد التكرلي.

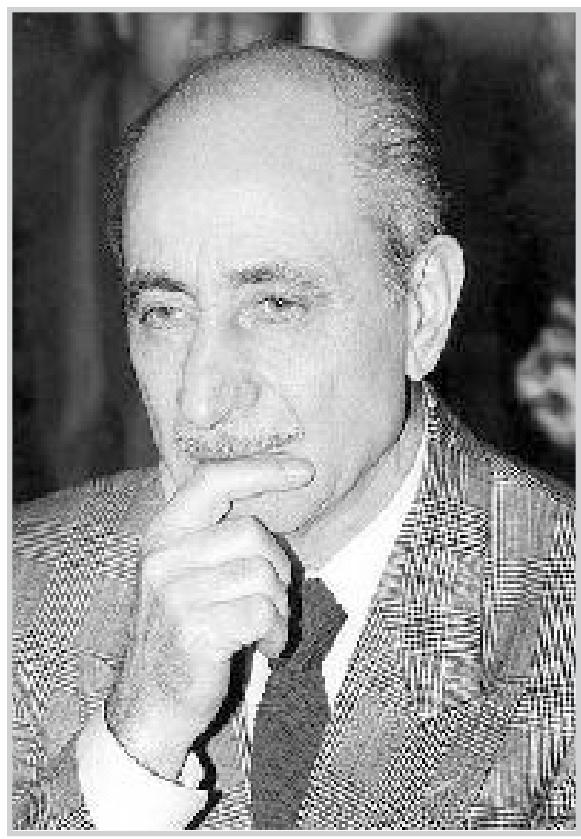
الراحل فؤاد التكرلي

عبد الستار ناصر:

(كان بارعا وفائق القدرة على رسم الطفولة بوصفها المتراس الأول للدفاع عن الذات)

ووصف القاص عبد الستار ناصر التكرلي بأنه كان هادئ الطباع، إلى حد الظن بأن الطباع تتلمذت على يديه لتكسب هدوءها، وقد عملت معه لسنوات لم أسمع فيها منه كلمة نابية واحدة، وكان يكتفي بالرد على منتقديه بالقول سامحهم الله، وأضاف ناصر: إن شخصيات التكرلي القصصية كانت تتميز بالجرأة والوقاحة، وكأنه لاعلاقة لها بالكاتب الذي خرجت من معطفه، ونستغرب كيف استطاع متابعة هذه الشخصيات بمعزل عن شخصيته الهادئة والوقورة، مثلما نستغرب قدرته الفذة على كتابة شخصيات مغايرة لشخصيته، لكنه يطلقها للقراء بشكل رائع. ومضى القاص عبد الستار ناصر إلى القول أنه قياسا إلى سنوات عمره التي عاشها يعتبر فؤاد التكرلي مقلا في إنتاجه الأدبي، لكن الكيف ملأ فراغ الكم، لم يدخل معارك أدبية مثلما فعل معظم أقرانه، ولم يشارك على نقاشات حادة، وظل يحتفظ لنفسه برأيه الخاص فيما يمر من أحداث، كان بارعا وفائق القدرة على رسم الطفولة بوصفها المتراس الأول للدفاع عن الذات، ووصف ناصر التكرلي برائد القصة العراقية مع عبد الملك نوري، وقال أن غرائبية كتاباته تكمن في المضمون أكثر من الشكل مع حرصه على التوازن بينهما، وختم القاص العراقي حديثه باسترجاع جملة من إحدى قصص التكرلي يقول فيها (الحياة تبدأ حين لاتنتهي)، وهكذا فإن حياة الإنسان تستمر بعد وفاته كما هي حياة فؤاد مستمرة الآن بحضورنا هذا.

عواد علي:

(لم يكن يروق له وصفه بأنه كاتب واقعي لأن في ذلك تحديدا وتضييقا لافائدة منه)

عقب ذلك تحدث الناقد عواد علي قائلا إنه كثيرا ما وصف النقاد أعمال التكرلي القصصية بأنها تمثل التيار الواقعي التجديدي أو التحديثي في الأدب العراقي أفضل تمثيل، وأنها تحرص على تقديم استقراء لتاريخ العراق المعاصر وخاصة في العقود الخمسة الأخيرة، وشخصياته كلها من الواقع الرافض لكل قيد، ولكن التكرلي كان لايروق له وصفه بأنه كاتب واقعي لأن في ذلك تحديدا وتضييقا لافائدة منه، ويرى أن الواقعية بالنسبة له ليست قانونا أو مذهبا ملزما بل هي عملية تزويده بالمادة الخام لأعماله القصصية والروائية، وبهذا المفهوم تبقى له حريته الداخلية لتشكيل الانسجام بين أفكاره وبين المادة التي يعثر عليها، أما صفة الحداثة والتجديد فكان يقر بها ويدافع عنها إلى درجة أنه نسبها إلى القصة القصيرة فقط دون الشعر وخاصة في العراق، ذاهبا إلى أن هذا النوع السردي كان يؤسس في الخمسينيات موجة حداثة غير مسبوقة في العالم العربي، ولكن قلة من النقاد من التفت إليها لأن الثقافة العربية تحتفي بالشعر، رغم أن موجة الشعر الحر في العراق محض حركة مفتعلة من وجهة نظره، ولم تأت بجديد؛ وكل ما أحرزته في العالم العربي سببه الدعاية وطريقة شعرائها (السياب والبياتي والملائكة) في الإعلان عن أنفسهم.

علي بدر:

(أهميته تنبع من كونه المعبر الحقيقي عن روح الأمة العراقية)

ثم تحدث الأستاذ علي بدر ليربط بين اليومين اللذين فقد فيهما العراق التكرلي والسياب، وقال: كانا ماطرين، وكلاهما توفي خارج الوطن وربما لعب كلاهما الدور ذاته في الأدب العراقي من حيث الريادة في القصة والشعر، وقد شكل التكرلي مراجعة كبيرة للسرد العربي المستقر طويلا مثلما شكل السياب مراجعة للشعر العربي المستقر لعدة قرون، ومضى بدر إلى القول: إن أهمية التكرلي تنبع ليس من كونه كاتبا فحسب، وإنما من كونه المعبر الحقيقي عن روح الأمة العراقية، فالأمم تتكون طبقا لقاعدتين، إما تحت ضغط الدولة، وإما تحت قوة الثقافة، والمؤكد أن الأمة العراقية تكونت تحت قوة الثقافة، ونحن كعراقيين ربما نفترق، لكننا نعود لنتعرف على بعضنا في ثقافتنا، في الروح العراقية التي تبرز بالذات في روايات فؤاد، ومؤكد أن من لايعرف العراق يمكنه التعرف إليه إذا قرأ روايات فؤاد التكرلي الذي كان يمتلك وعيا حقيقيا بما يفعله، وهو لذلك ترك بصمة كبيرة على سيرة المجتمع العراقي، وختم بدر مداخلته بالقول أن كل تاريخ العراق كتب سياسيا (خارجيا) لكن على الراغب بمعرفة المجتمع العراقي على حقيقته أن يعود إلى روايات فؤاد التكرلي.

يحيى الكبيسي:

(كان الشكل الفني جزءا أساسيا من فهمه للقصة والرواية)

ثم تحدث الأستاذ يحيى الكبيسي فقال أن جيل الخمسينيات هو جيل صنع الثقافة العراقية، لكن التحولات السياسية أنهت ووأدت أحلام ذلك الجيل، وقد بدأت القصة العراقية مع عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي، لكن ما عجز عنه النوري نجح فيه التكرلي، الذي كان الشكل الفني جزءا أساسيا من فهمه للقصة والرواية، لكنه بذكاء وحرفية عالية لم يقع ضحية ذلك، وإنما استثمر الشكل الفني ليقدم رواية وقصة تعد ببساطة عالمية، كان التكرلي نحاتا يبني بهدوء تحولات المجتمع العراقي دون تحيز، وغير محكوم بأيديولوجية معينة، ولم يكن له موقف تجاه أي من الأطراف السياسية العراقية، وهو المؤمن بأن العنف هو من يقتل العالم والأبرياء بمعزل عن "من أي طرف أتى"، ونجح في أن يقدم لنا تحولات المجتمع العراقي الذي حكم بسلطة غاشمة يوما ما، وكان حاذقا في رسم تحولات السلطة من خلال شخصية الساعي الذي تحول إلى مدير مؤسسة في إحدى نتاجاته الأدبية، وختم الكبيسي كلمته بالدعوة إلى اعتبار فؤاد نموذجا للوطنية العراقية، في لحظة يفتقد فيها العراقيون هذا النموذج، وأن يكون أدبه نموذجا لما يجب أن تكون عليه هذه الثقافة.

حيدر سعيد:

(التكرلي هو من بنى القصة العراقية، لأنه أراد أن يجعل من الفن رسالة)

ومن جانبه اعتبر الباحث حيدر سعيد أن التكرلي هو الحلقة الأخيرة من جيل المؤسسين الرواد، خاصة بعد وفاة نازك الملائكة، لكن أهميته لا تأتي من كونه مؤسسا، وإنما لأنه ترك بعده رسالة ثمينة وكبيرة، وهو الذي بنى خلال خمسين عاما مجاله الخاص، ونحن الآن نكتشف قيمة ذلك، ومضى سعيد إلى القول أن اسم فؤاد كان يربط دائماً مع اسم عبد الملك نوري، لكن الحقيقة أن فؤاد هو من بنى القصة العراقية لأنه أراد أن يجعل من الفن رسالة، وبالنظر إلى عدم انتمائه حزبيا فقد نجح في ذلك، وقدم لنا وصفا دقيقا لتحولات المجتمع العراقي فنيا وبغير أيديولوجيا، وختم سعيد قائلا أنه لم يتخيل أنه سيهيل التراب يوما على جثة التكرلي، وأنه كان يتمنى أن يكون موته في بغداد لأن العراقيين لايرغبون في بناء مقبرة غرباء أخرى.

وفي الختام تقدمت عائلة المرحوم فؤاد التكرلي بالشكر لمؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون على رعايتها وتبنيها فتح بيت عزاء للراحل الكبير في عمان التي توفي ودفن فيها.

(المدى) تنفرد بنشر جانبٍ من السيرة الحياتية للروائي الراحل فؤاد التكرلي كتبها قبل رحيله بزمن قصير

عن التكوين الأدبي .. رؤية شخصية

فؤاد التكرلي

غالبا ما يواتيني سؤال، خلال هذه السنوات الطويلة الماضية، عن عناصر التكوين الذهني والنفسي والعاطفي التي اجتمعت في فرد بشري فمنحته طاقة استثنائية للتعبير عن ذاته بإخلاص وبصورة تجعل الآخرين يتأثرون تأثرا واضحا بما ينتج.

كنت اقارن بعد ذلك بين النتاجات اللغوية المختلفة:

هذا نتاج لغوي معين لشخص ما، وذاك نتاج لغوي لشخص آخر. حسنا، الاثنان مكتوبان ضمن نوع خاص من انواع الادب، فإذا تابعنا ما يتركان من اصداء لدى الآخرين والقراء فإننا سنخرج بنتائج غير متوقعة. احد هذين النتاجين اللغويين يلاقي استحسانا عاما من القراء والنقاد والثاني يقابل بصمت وانكفاء.

ما هي الاسباب، إذا امكننا ان نتساءل، التي أدت الى هذا الموقف؟

ان اللغة هي نفسها التي استعملها الطرفان وهي قد تختلف من شخص لآخر حسب مزاجه وذوقه وماضيه وما يريد ان يعبر عنه ولكنها في كل الاحوال هي ذاتها اللغة التي يستعملها الكاتبان. اذن فالبحث عن اسباب الاختلاف يجب ان يكون. كما يبدو فيما وراء اللغة او ما يعلو عليها إذا وجد هذا العلو ماذا يوجد وراء اللغة؟

هل هناك حيز، مكاني او زماني يكمن خلف اللغة او فوقها او على جانب منها؟

وهل تحتاج اللغة، اية لغة، الى سُمك خفي ماورائي، يمنح هذه الحروف المتراصة والكلمات المنظمة بنظام معين نغمةً او طعما او رائحة فكرية؟ وهذا السُمك الماورائي، أهو ثقافة الكاتب وتجاربه المعيشة وتأمله فيما يرى واهتمامه الاصيل بالأمور الجوهرية في حياة الانسان؟

الشيء الاكيد هو ان الثقافة، ثقافة الكاتب، لا تمنحه موهبة ابداعية بالضرورة او طاقة تعبيرية استثنائية، فهذه الامور اكثر غموضا وتعقيدا من ان نرجعها الى الثقافة فقط.

اذن قد نستطيع ان نقول ان تلك العوامل التي اشرنا إليها آنفا.. الثقافة والتجارب الحياتية والتأمل او تمثل القضايا ذات الاهمية للبشر.. هي التي تصنع بشكل ما هذا السُمك الماورائي وتجعله ذا فعالية وثراء فكري، لينعكس ذلك، من خلال الكاتب، على اللغة الموجهة للآخرين.

اردت بعد ان ساورتني هذه التأملات ان اتفحص على مهل صحتها استنادا لما حصل لي وجربته منذ ان قرأت اول كلمة في كتب الادب وسطرت اول جملة في مضمار الكتابة، حتى يومنا هذا وقد انهيت الثمانين من عمري.

ما شجعني على ذلك هو ملاحظتي بان النصوص التي نشرتها منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين، اثارت اهتماما لم اتوقعه. دفعني الى التساؤل عن الاسباب.

وفي هذه الالمامة السريعة سأستعيد متعقبا بعض المؤثرات الثقافية التي واجهتها في سني شبابي، تاركا التجارب الحياتية والتأملات الى وقت آخر أرجو أن يتوفر لي.

في العطلة السنوية الصيفية سنة ١٩٣٩، كنا نسكن في جهة من محلة "باب الشيخ" تسمى حي (رأس الجول) وكنت في الثانية عشرة من عمري حينما انفتح امامي باب واسع على القراءة القصصية المكثفة. لقد وجدت تحت متناول يدي، ذات يوم عشرات الروايات من سلسلة (روايات الجيب) المصرية، كان اخي نهاد قد جلبها من صديقه عبد الوهاب ليحتفظ له بها الى حين.

كانت تلك هي البداية، اذ لم تفارقني بعدئذ نكهة ذلك الصيف الجميل ولا متعة الاوقات التي كنت اغرق فيها بقراءة الروايات.

كانت (روايات الجيب) انذاك خليطا يبعث على الدهشة من الروايات البوليسية الى الروايات العالمية ذات المستوى العالي، وجميعها مترجمة باختصار. فمع اعمال (اجاثا كرستي) و(ارسين لوبين) و(شرلوك هولمز)، كانت هنالك اعمال لـ (دستويفسكي) و(تولستوي) و (زفايك) و(سومرست موم) واخرين. شغفت حبا بهذه الهواية الجديدة وبعدما انتهيت من قراءة (روايات الجيب) اكتشفت كنزا آخر لدى احد اقاربنا هو الشاعر عبد الستار القره غولي. كانت جدتي لأمي هي صلة الوصل بيننا، وكنت اعلم بأن لدى هذا القريب مكتبة فخمة تضم مختلف انواع الروايات المجلدة تجليدا انيقا، فكنت اتشبث بجدتي حين تغادرنا الى دار القره غولي واتوسل بها ان تجلب لي بعض الروايات التي اسميها لها والتي اعرف انها موجودة في مكتبة قريبنا.

كانت عودة جدتي الينا تبعث فيَّ سرورا لا حدود له. كنت استقبلها في المجاز الصغير بضجة طفولية وأتناول منها حزمتها الكبيرة لاستخرج اللفة السحرية التي انتظرها، غير مكترث لشكواها التي كانت تطلقها بين انفاسها اللاهثة من ثقل هذه الكتب اللعينة، لفتي السحرية تلك كانت تحتوي على رواية (الكونت ده مونت كريستو) مترجمة بصورة كاملة في اكثر من ألف صفحة، قرأتها اكثر من مرة، بلذة ومتعة لا مثيل لهما، جاءت بعدها روايات ضخمة اخرى (الساحر العظيم)، (الاميرة فوستا)، (الفرسان الثلاثة)، (كنوز الملك سليمان)، (روكامبول) وغيرها.

واذ استمرت لدي هذه الرغبة الملحة في القراءة، فقد رحت ابحث عن وسيلة لاشباعها، قيل لي ان هناك في محلة (البتاويين) مكتبات خاصة لتأجير الكتب للمشتركين فيها، فأسرعت اشترك في احداها.

بعد ذلك بفترة قصيرة، كما اتذكر، اتفقنا كاصدقاء يجمعنا حب المطالعة ان نفتتح مكتبة على هذا المنوال لانفسنا ولمن يرغب في الاشتراك معنا، سميناها (مكتبة الشباب) وكنا اول قراء الكتب التي وفرناها للمكتبة.

ويخيل الي ان تلك الفترة ١٩٤٢ . ١٩٤٥ كانت هي البداية في وضع اساس للسُمك اللامرئي لدي، اكتشفت اللبناني (توفيق يوسف عواد) ومجموعته القصصية الرائدة (الصبي الاعرج) . ادهشتني لغته البسيطة المعبرة ذات الدلالة القصصية الهادفة. كان الوقت مبكرا بالنسبة لي لادرك كل ما فيها من تراكيب وافهم ما هي اسباب كونها لغة جديدة تلفت النظر.

في الوقت نفسه دخلت في عالم (محمود تيمور) القصصي الواسع، احببت اقاصيصه اكثر من رواياته. وكنت ايضا منغمرا في قراءات اخرى هي تراجم جيدة لروايات انجليزية اذكر منها (نس سليلة دريرفيل)، (لها ردي) و(الطلسم) لوالتر سكوت ومجموعة اقاصيص مختارة من الادب الانجليزي اختارها وترجمها المازني.

في احد ايام سنة ١٩٤٤ فاجأني اخي نهاد حين جلب معه بعد عودته من الدائرة مجلدات عديدة لمجلة (الرسالة) ومجلدا ضخما لمجلة (الرواية) المصريتين اللتين كان يصدرهما محمد حسن الزيات.

كانت تلك منجما لي لا ينضب، فقد وسعت من حدود عالمي الادبي ومنحتني متعة لا تعوض.

قرأت عدة مرات ملحمة (الاوديسة) لهوميروس من ترجمة دريني خشبة، وعشت زمنا جميلا بين الآلهة والابطال واساطيرهم اليونانية القديمة، اما مجلة (الرواية) فقد كانت نبعا ثرا لمختارات من القصة القصيرة، اكتشفت موباسان وتشيخوف وكتابا فرنسيين اخرين لا اتذكر اسماءهم.

في سنة ١٩٤٦، كما اتذكر، صدرت المجلة العربية الرائدة (الكاتب المصري) تحت اشراف ورئاسة تحرير د. طه حسين. كانت نافذة واسعة اطلت بنا على الثقافة الادبية والفلسفية الغربية والفرنسية على الخصوص.

يضاف الى ذلك ان المجلة اخذت تصدر كتبا مترجمة وموضوعة في غاية الاهمية. من التراجم (ازمة الضمير الاوروبي) لبول هازار وروايات (ديربارم) لستندال و(والدة) و(عقدة الافاعي) لمورياك و(ارض البشر) لسانت اكزوبري و(صورة دوريان كراي) لوايلد و(الباب الضيق) و(مدرسة الزوجات) لاندريه جيد، تلك كانت في نظري نهضة ثقافية رائعة ومنحة من السماء. كنت اقرأ منذهلا افتتاحيات د. طه حسين، لقد بدت لي لغته في غاية الرفعة والجمال ولا تنال بسهولة.

لقد خدمت (الكاتب المصري) الثقافة العربية خدمة جلى لا مثيل لها في نظري ولا تقل عما قدمته مجلتا (الرسالة) و(الرواية)، بل إنها في تقديمها مقالات وأعمالاً معاصرة لـ (سارتر) و(كامو)، قد سبقت زمنها بشوط كبير، وكم كان الاحباط الذي أصابني كبيرا، حين علمت بأن الظروف العربية البائسة خنقت هذا الوليد الرائع في مهده، وغابت شمس (الكاتب المصري) سنة ١٩٤٨ بعد هذا، لا أدري هل يبدو هذا التعداد لما نقرأ من كتب، تظاهرا أو ادعاء فارغا، إلا أنه، في واقع الأمر، لا يعدو أن يكون جزءاً صغيرا جداً من الثقافة التي يتوجب على الروائي أن يتمثلها لكي يطمح الى التأثير في قرائه.

وأنا، إذ استعيد صور تلك الكتب واسماءها، فأنا أعيد لنفسي ذكريات جميلة وممتعة للغاية. أول مرة اشتريت فيها جزءي رواية (دير بارم) لبثت منفرداً في غرفتي الصغيرة الرطبة الجدران على جانب من بيتنا في (رأس الساقية)، اقلبها برفق وأتصفحها وألمسها كأي شيء نادرٍ وعزيز على القلب. كان الكتاب لديَّ رمزاً لأحسن وأنبل ما أنتجه البشر طوال القرون الماضية حتى يومنا هذا. غير أني كإنسان ذي تطلعات ثقافية خاصة كنت بحاجة الى عناصر أخرى ليغتني عندي ذلك السُمك الذي أتحدث عنه.

في سنة ١٩٤٤ نفسها فاجأني، مرة أخرى، أخي نهاد الذي كان بمثابة والدي الثقافي، حين اشترى كرامفونا كهربائيا ضخما مع العديد من الاسطوانات ذات السرعة (٣٣) تحتوي على تسجيلات مختلفة للموسيقى الكلاسيكية. كان ذلك أمرا مذهلا بأهميته وجماله. كأني، دون علمي، كنت أنتظره بكل كياني!

أدخلتني الموسيقى الكلاسيكية الى عالم سحري عجيب، هذب روحي ووجداني وحواسي الواعية وتلك اللامرئية، ولقد تقبلتها نفسيا وذوقيا دون تعقيد ومنذ الوهلة الأولى.

قيل إن الموسيقى هي غذاء الروح، وقد يكون هذا الكلام صحيحا بشكل من الأشكال، ولكنها بالنسبة لي ككاتب فنان، كانت تصقل مشاعري وذوقي وتجعلني ذا حدس جيد في القضايا الجمالية والذوقية، وفيما يصح منها وما لا يصح.

بقيت عادة الاستماع الى الموسيقى ملازمة لي منذ كنت في السابعة عشرة من عمري حتى بلوغي الثمانين. كانت تشكل خلفية ضرورية لي حين انهمك في الكتابة، خلفية تبعث على استكمال التركيز الفكري والهدوء النفسي، وتلك مسألة في غاية الأهمية للكاتب. من جهة أخرى، ومن الأمور التي لا تدخل ضمن عالم الأدب مباشرة، إلا انها تسير بجانبه في دنيا الثقافة وتكون عنصراً خفياً ولكنه فعّال في بناء السُمك اللامرئي.. تلك هي السينما.

إن هذا الفن العظيم الذي يعتمد في تعبيره بالدرجة الأولى على الصورة، تسامى خلال أعوام قليلة على أيدي فنانين كبار من المخرجين، بحيث صارت بعض الأفلام أشبه بملحمة شعرية تحتشد فيها الأفكار الفلسفية والرؤى العميقة لعالمنا المعاصر. ولقد كان من حسن حظي أن استطيع السفر الى فرنسا خلال سنوات امتدت من ١٩٥٦ وحتى نهاية الثمانينيات، وأن أشاهد روائع الأفلام الأوروبية التي كانت تُعرض في باريس آنذاك، سواء في دور العرض العادية أو في السينماتيك.

شاهدت للمخرج الدانماركي (درير) فيلماً في الخمسينات لا تزال بعض صوره ومواقفه الدرامية ماثلة أمامي حتى الآن. جاء بعده فيلم (بيركمان) المسمى (الينبوع) ليهز وجداني ويجعلني أتابع أفلام هذا المخرج السويدي الواحد بعد الآخر. ثم عشت، عدة مرات، تجربة مشاهدة فيلم (الطريق) La Strode للايطالي (فيليني) . إنه عمل فني لا يمكن أن يخرج من حياة الإنسان بعد خروجه من قاعة العرض.

وقبل ذلك أو بعده كان هناك فيلم (سارق الدراجات) للايطالي (ده سيكا) . كان درسا بليغا في معنى الواقعية الجديدة التي كانت في ذروتها حينذاك. ثم اكتشفت أفلام (أنتونيوني) الرائع والإسباني (بونويل) .

كانت تلك الأعمال الفنية ترقى، كما قلت، الى مستوى الملاحم العظمى بما تقدمه من تشكيل مذهل للصور ومن تمثيل في غاية الرفعة وتقنية رائعة، بحيث تكوّن مشاهدة أحد هذه الأفلام تجربة فذة لا تقل عمقا عن قراءة كتاب فلسفي. وهذا هو ما قصدته من تعداد لبعض مشاهداتي في السينما. إنها تجارب من نوع خاص، تضيف بعداً فكرياً استثنائياً للمتلقي المشاهد الذي بمقدوره أن يتمثل جملة ما ترمى اليه.

هكذا إذن، قد نستطيع القول إن الكاتب المبدع لا يتأسس، إن صح القول، بالسهولة التي يظنها الكثيرون. حتى هو نفسه لا يمكنه أن يحدد تماماً لماذا يكتب كما يكتب ولماذا اختار هذه المادة أو تلك ليقدمها للقراء، فإذا قيل لنا إن العقل اللاواعي يلعب دورا كبيرا في عملية الابداع الغامضة، فإن من الحري بنا أن نرد بالقول إن العقل الواعي الذي يسنده خفية سُمك فكري وثقافي متميز، هو الأجدر بأن يلعب هذا الدور الكبير في عملية الإبداع من زميله اللاواعي.

وعلى كل حال، فتلك شؤون معقدة جداً ومبهمة، والإنسان لا يجد أحياناً إلا نفسه ليتفحصها ويتعمق في أغوارها، محاولاً أن يكتشف كنه هذه العملية الفذة.. عملية الابداع الانساني، فإذا حالفه الحظ واستطاع أن يدلي برأي واضح ومعقول بنسبة معينة، فإنه يقدم لنفسه وللآخرين خدمة من نوع خاص.